

"النهار"

الاحد 4 آب 2002

وقائع الاعتقالات الجماعية في 7 آب الماضي

لحماية "دولة القانون والمؤسسات"

نهار الاربعاء المقبل، 7 آب، 2002 يكون عام قد مضى على موجة الاعتقالات الجماعية التي تعرض لها حزب "القوات اللبنانية" و"التيار العوني". هنا حلقة اولى من رواية وقائع الاعتقال، تليها اخرى الاحد المقبل. وقد شارك الزميل فيديل سببتي في اعداد الحلقتين.

رواها سلمان سماحة / كتبها محمد ابي سمرا

1

قبيل وقت قصير من مساء ذلك النهار الصيفي، وصلت الى مكتب حزب "القوات اللبنانية" الطالب في انطلياس، فرأيت قوة من جهاز "المكافحة" تطوقه. اتصلت عبر هاتفي المحمول بمسؤول في جهاز امني لبناني تعودت الاتصال به للاستفسار حين نتعرض في "القوات" للاعتقال والملاحقة، وسألته عما يحدث، فقال لي ان الموجودين في المكتب سوف يجري اعتقالهم جميعا. كنت اعلم انهم فتيات وشبان صغار في السن، فقلت له، بعدما طلب مني مغادرة المكان، اني سأسلم نفسي. ما ان اقتربت من أمر قوة "المكافحة"، وقلت له من انا، حتى كُبلت يداي خلف ظهري وعُصبت عيناوي. وفيما هم يقتادونني، سمعت أمر القوة يردد اسمي عبر هاتفه قائلا: "القد وصل لقد وصل". حملوني ووضعوني في صندوق احدى الشاحنات العسكرية التي كانوا قد نقلوا اليها اثاثات المكتب ومحتوياته. ولما سارت الشاحنات بنا حدست انها تسير في الطريق الى وزارة الدفاع في البرزة. ذلك اني كنت قد حفظت تعرجات هذه الطريق لكثرة ما جرى اقتيادي عليها، معتقلا ومعصوب العينين الا قليلا. كان رجال الدورية المستنفرون يشرون في الهواء بنادقهم التي اخرجوها من نوافذ الشاحنات المسرعة سرعة استعراضية صاخبة، صارخين بالمارة في سياراتهم ان يبتعدوا بها او يوقفوها الى جانب الطريق. وطوال الطريق ظلت بنادقهم مشرعة وظل صراخهم على المارة متواصل بلا انقطاع.

قرب الوزارة ادخلونا الى قبو بناء خاص بجهاز "المكافحة". كان الحرّ والرطوبة خانقين وجدران القبو تتضح لزوجة ودبقا. للمرة الاولى شعرت بالفرق بين الاعتقال الفردي الذي كان يخيفني والاعتقال الجماعي الذي طرد الخوف من نفسي، وحدست ان اعتقالنا هذا سيتحول انتصارا معنويا لنا، وسيحدث ضجة في البلاد ما داموا قد اعتقلوا مجموعات من "التيار العوني" ايضا، على ما رأيت حين مررت قرب مكتب لهم في الطريق الى انطلياس. مجموعة المعتقلين التي كنت في عدادها ضمت نحو ستين شابا وفتاة. ولدفع الخوف والضيق عنا، رحنا نغني ونصلي، وراح من سبق لهم ان اعتقلوا يهدئون روح الذين يعتقلون للمرة الاولى. واحد من حراسنا في القبو دفعه تعاطفه معنا الى ان يشتري لنا قطعة من "الكيك" واوصانا بألا نخبر احدا عن فعلته هذه. لكن صلاحة الحراس واهانتهم سرعان ما ظهرت في اثناء اقتيادنا، مكبلي الأيدي معصوبي العيون، من مكان الى آخر في نواحي وزارة الدفاع، حيث أخضعنا الى تحقيقات اولية، وجرى تدوين ما ادلينا به من معلومات تعرّف بنا في استمارات وملفات لكل منا. اما الاسئلة الاساسية التي وُجّهت اليها في هذه التحقيقات، فدارت كلها على مسؤولياتنا ومهامنا في "القوات"، ومعرفة من جرى اعتقاله وتوقيفه سابقا، ومن شارك في احتفالات المصالحة في دير القمر، وفي استقبال البطريرك الماروني في الكحالة.

2

بعد هذه التحقيقات الاولى، تفاوتت مدد اعتقالنا ونقلنا في الشاحنات العسكرية الى نواح مختلفة في وزارة الدفاع ومنشأتها ومديرياتها: من مستوعبات معدنية الى قبو الى قاعة تحقيق في مديرية المخابرات، ومن "قصر نورا" الى المحكمة العسكرية، ومنها مجددا الى وزارة الدفاع. ومع تناقص عددا شينا فشيئا، قدرنا انهم يطلقون سراح الفتيات والشبان الصغار، وقد دام ذلك نحو اسبوعين نُقلت على اثرهما الى سجن رومية. في مديرية المخابرات كانوا ينزعون الخرق التي تعصب عيوننا ليلتقطوا لنا صورا فوتوغرافية، ويلقون في اعناقنا قطعة معدنية تحمل ارقاما تدل علينا بدل اسمائنا، ثم يعودون الى عصب عيوننا وتكبيل ايدينا، ورمينا، هكذا، على ارض ممر طويل. واحدا واحدا، راحوا ينادوننا بأرقامنا، ليتقدم من المنادى رجل امن ويمسكه من رقبته ويدفعه الى غرفة التحقيق، حيث راح المحقق يسألني عن اسباب مقاطعتنا الانتخابية، وعن صلتني بالكلام الذي يصدر عن بكركي، وما هو مضمون علاقتنا بـ"العونيين"؟ من يتّمع عن الاجابة يتعرض للضرب. وحين سألني المحقق عن علاقتي ببكركي والبطريرك، قلت له: ما علاقتك انت بهذا الامر؟ فتلقيت صفة مفاجئة على وجهي، وجرى دفعي الى الممر الخارجي، حيث رميت ايضا ومنعت من الكلام طوال ساعة او اثنتين، قبل اعادتي الى غرفة التحقيق. في غرفة التحقيق لم ينزعوا الخرق عن عيوننا الا حين اردوا حملنا على توقيع محاضر افاداتنا التي حججوا بأيديهم ما دونه عليها ومنعونا من قراءة ما ورد فيها. من امتنع عن التوقيع هوت صفعات على رقبته وسمع صرخة مدوية: امض ولاه. وبما اتنا كنا نعرف ما الذي ينتظر الذين يستمرون في رفض التوقيع، ونعرف ايضا ان هذه المحاضر

غير قانونية، فسرعان ما وقعناها كي نتدارك الضرب والاهانات التي سنتها علينا. وكثيراً ما سمعت المحقق يقول لبعض الممتنعين عن التوقيع: ولو! ما عندك ثقة فينا، ما عندك ثقة بالمؤسسة العسكرية؟! كان يتخلل هذه التحقيقات اللقاء مواظب سياسية علينا، تنتهي بأسئلة مثل: لماذا انتم ضد رئيس الجمهورية؟! لماذا تتحالفون اليوم مع وليد جنبلاط، بعدما حرقتم البلد معاً في الامس؟! لماذا لا تتعاونون مع فؤاد مالك؟! واحياناً راحوا يقولون اننا كبش محرقة في التحالف بين جنبلاط والحريزي ضد رئيس الجمهورية. الاوقات التي أمضيتها في الممر كانت ضاغطة ومنهكة. كان الحارس يصرخ بمن يريد إدخالهم الى غرفة التحقيق: يا حمار، يا كلب، يا حيوان، وقاف، تعالون. وكان يكفي ان تسمع هذه النعوت في ذلك الجو الخانق والمشحون والمقبت لكي تشعر أنك لم تعد انساناً سوياً. أضربت عن تناول الطعام احتجاجاً، فقصوا شعري من منابته وتلقيت بعض الركلات والشتائم، فأطبق عليّ الإجهاد النفسي والجسدي والشعور بالمهانة. ولما صرخ بي حارس يسألني عن اسمي قلت له: 35 وهو الرقم المعلق في عنقي. وفي تلك اللحظة دمعت عينا، وعبر في رأسي مشهد لي، عارياً تماماً من ثيابي التي جردوني منها في بدايات اعتقالني. هكذا بدأت أشعر ان العالم الخارجي ابتعد كثيراً كأن زمناً طويلاً قد مضى عليّ مغادرتي إياه الى حياة الاعتقال والسجون والتحقيق. أخذت تلح على ذاكرتي صور ذلك العالم البعيد، فرحت أستعيد ما أمكنة ووجوه أهل واصدقاء وكلمات، مستجداً بها على ما أنا فيه، وضد رغبتهم في أن يروني محطماً.

3

أخيراً بقيت وحكمت ديب وشربل ابي عقل ونادر نادر وشاباً من "التيار العوني" وحدثنا، فنقلونا الى المحكمة العسكرية بعدما رمونا كأكياس بطاطا في مؤخرة الشاحنة. الصخب والتوتر والسرعة في قيادة الشاحنات، والبنادق المشرعة من شبابيكها والصراخ بالمارة في الطرق، هي نفسها في كل عملية نقل بين المراكز العسكرية والامنية التي احتجزنا فيها. امام القاضي العسكري في المحكمة العسكرية ثلثت عليّ الافادة التي دوتها في وزارة الدفاع، ففوجئت بما ورد فيها، وقلت للقاضي إنه تليفق ومحض خيال، فأجابني بأنها مهوره بتوقيعي، فقلت إنني مُنعت من قراءتها، ووقعتها تحت الضغط والتهديد والضرب. وبعد اعادتي مجدداً الى مديرية المخابرات في الوزارة، سألت المحقق عن التهم التي ثلثت عليّ في المحكمة العسكرية، فقال إنها لغيري ودوتت خطأ في افادتي. في ختام هذا الفصل من اعتقالي وصلت الى سجن روميه. لم تمض دقائق قليلة على وصولي حتى سمعت اسمي من مكبرات صوت. وفي باحة السجن، ورأيت أختي واقفة في انتظارني، فتملكني شعور بالخوف عليها وعلى نفسي حين اقترب مني رجال "المكافحة" وكبلوا يديّ خلف ظهري وعصبوا عيني، واقتادوني الى سيارة مرسيدس انطلقت بي في سرعة جنونية. في تلك اللحظات خيل لي أنهم خائفون عليّ من الاغتيال بسبب معلومات خطيرة يعتقدون اني اکتهمها، وأيقنت أنني عائد الى وزارة الدفاع. كنت أعلم ان صديقي ايلي كيروز قد أعيد الى هناك، وان توفيق الهندي لا يزال معتقلاً في مديرية المخابرات، وان فصلاً جديداً لا يزال ينتظرنني في الوزارة.